NOURA

محارة الأحلام

نورايدي منصور

قصة قصيرة

محارةُ الأحلام

نورا منصور

إهداء

بما أنني أحسست بواجب كتابة الإهداء..فإن لم يكن لشخص ما..هو بالتأكيد لعصفوريّ الصغيرين الحبيبين ؛لوكا و ليسكا

قصة أقصر من شهر شباط لمين بدي أهديها مثلاً ؟

*ملحوظة صغيرة : أنصحكم بقراءة رواية آن الجملونات الخضراء حالاً فهي من أجمل الروايات التي تمت كتابتها على مرّ العصور

محارة مستغربة

لعلّه منذ زمن طويل..لعلّه حدث منذ قليل...
ألم يقولوا : تحلّى بالصّبر و كُنْ كالمحار..
محارة الألوان تعيش حياة عادية تستيقظُ كلَّ يومٍ في قاع السّرمد...و تذهب الى مطعمها اللؤلؤي نشيطة فرحة حاملةً في عقلها أفكار طيات الغيوم...
تتراقص في الطريق المتعرج المتمايل كأنّها وردة في الشتاء...تمرّ بذات المناظر التي رأتها البارحة و قبله و الذي قبله و الذي قبل قبله و ربما الذي قبله بعشرة أيام...الأشجار المثمرة في كلّ الفصول..الأعشاب الخضراء في سرور..النجوم الملونة تبدو كالصّخور للأسف كعادتها نائمة...
وصلتْ إلى السّرداب الذي يجعلها تحت الرمال الذهبية بلمحِ البصر..و شوّحت نظرها كالعادة تحسّباً لأيّ شيءٍ غريبٍ..

و كان هنالك شيءٌ غريبٌ!..حقاً غير مألوف..غواصة عالقة عند باب صالة الأحلام..وهذا ما لا يحدث عادة..اقتربت محارة من الغواصة و فتحت بوابتها..فإذ بها تجد فتاة مكوّرة نفسها مغمضة عينيها بهدوء..
ارتعبت محارة من الفتاة..او الاصح ارتعبت من اجلها..مالذي جعلها تخرج من صالة الأحلام؟..لماذا ضلّت الطريق؟.. لمذا علقت عند الباب؟..
حاولت محارة شد الفتاة و إخراجها..لكنها لم تفلح من أوّل مرة..حاولت سحبها مرات عديدة حتى تذكرت ان الفتاة قد ربطت حزام الأمان كي لا تكون في مكان غير محبب لها ان تكون فيه-*كما هي الآن*-..فكت لها الحزام و حاولت إيقاظها لكنها لم تستفق..فكرت محارة انها ربما عادت الى واقعها لبرهة قصيرة-لأن الذين يكون جسدهم لا زال في صالة الأحلام سيعودون حتماً- ستعود الآن و ستستطيع فهم هذا منها..جلست بجانبها وقد تأخرت على عملها المحبوب..و انتظرت أن تستيقظ الفتاة...
.
بعد انتظار حوالي عشر دقائق بدأت الفتاة تستيقظ و ترمش بعينيها البنيتين..
فتحتهما و قالت متفاجئةً : اووه محارة كنت ابحث عنك لأذهب إليك هذه المرة..
قالت محارة و علامات الاستفهام الشديد قد بدت على وجهها : ماذا ؟ انا ؟ من انت؟...اااا...مالذي تفعلينه هنا؟...لماذا خرجتي من صالة الاحلام ؟
أجابتها الفتاة التي انتفضت بقفزة اظهرت طولها الذي لم يتلاءم مع عمرها الخارجي-كما فكرّت محارة-:
حسنا كما تعلمين صالة الاحلام التي اذهب اليها كل غفوة مملة..فقد زرتها حتى الان على الاقل مئتيّ مرة و قد اخبرتني آن* أنّك مميزة و الأحلام التي تعطينها جميلةٌ جداً..

توسّعت حدقتا محارة : حقاً مئتا مرة ؟ وآن ؟ أووه إنّها فتاةٌ لطيفةٌ كانت تزورني عندما كنت أعمل في صالة الأحلام...قالت أنّها ستوّد أن تبقى هنا في مخيلة الناس لأنها تحب أن يصبح لديها أصدقاءّ جدد و هنالك دائما الكثير لديها للتحدث عنه معهم..و..

أدارت الفتاة رأسها مقاطعةً لِمحارة: إنّه مكانٌ جميل الى أين سنذهب الآن ؟

قالت محارة و هي تنفض حقيبتها : أظنّني أعرف جيداً إلى أين سآخذك..يا..ما اسمك ؟

أجابت الفتاة بسرعة : لونكا

اسمك غريب و لطيف على السمع كغبار نجم البحر المنتفض في الليل المعتم..تمتمت محارة الالوان -*التي كانت من هواياتها أن تعمَّ كل ما تراه بالتشابيه*-.. لربما هذا ما جعلها و آن أصدقاء..

شكراً همست لونكا بالمقابل

القصرُ المدهشُ

مشتا الاثنتان معاً عبر الطّريق الذي مرّت منه محارة منذ قليل لكنه لم يعد نفس الطريق فمع وصف محارة للونكا و خيال لونكا المدهش أصبح أفضل منظر يمكن رؤيته ...طريق متعرّج تحفُّه ذرات الرمال المنسوجة من الذهب الخالص..و تُلبِسه الأزهارُ المتفتحةُ ثوبَ السلام في وسط أرض المعركة..والأعشاب التي بدت كرداء بطل خارق ينقذ الطبيعة..ثمّ الحصى الفسيفسائية تحت الاقدام تعزف سمفونيات الصباح..كان المشهد أخاذاً للعقول حتى أن لونكا قالت : أووه لو أن كل مكان هكذا..لو ان نمش الحياة يزول و يبقى الصفاء السرمدي الحلو..

ابتسمت محارة وادارت وجهها السعيد باتجاه لونكا : الا تظنين أنّ النمش يضفي جمالاً ؟ يعطي لطافةً؟ تميزاً أكثر ؟

اجابت لونكا : نعم معك حق..على وجه آن و وجهي و أوجه الأطفال البقية .لكنه ربما يشوه بعض ملذات الحياة..في بعض الاحيان فقط.. و أنهت حديثها راسمةً ضحكة من خيوط النجوم على أطراف وجهها..

.

اكملتا سيرهما إلى قصر المحارات..حيث الاحلام ربما تتحقق...

سألت لونكا بعد مدة من المشي : هل اقتربنا ؟

اجابت محارة : نعم كثيرا..فقط القليل بعد..تابعي بنظرك خط الافق باتجاه غيمة الارنب..و سترين القصر..

قفزت لونكا قفزة اخرى: ماذا ؟؟ قصر..هل تمازحينني ؟اووه ماذا يشبه..متاكدة سيكون مذهلاً..لا بل أخّاذاً للعقول و القلوب..ووو و المخيلات..تابعت بعد ثانيتين من التفكير

قالت محارة : اصبري قليلاً بعد و سترينه بنفسك...

.

بعد بضع امتار بدأ يتراءى لناظر لونكا مدخنة خضراء عالية..ثم سطح أصفر منزلق..ثم نوافذ تبدو كقطع الحلاوة الملوّنة..ثم شيئاً فشيئاً حتى رأت قصراً لا يشبه القصور الأخرى..يشبه الغروب فوق أمواج البحر..يشبه الاناناس و التفاح و الفراولة في صحنٍ واحدٍ من الفواكه..يشبه زهر الليمون و الأقحوان و الحبق

عندما وصلتا إلى البوابة المحاطة بازهار التفاح كالملكة وتاجها..فُتحت و تقدمت محارة الى الداخل بضع خطوات..و دعت لونكا للدخول معها قبل إغلاق أزهار التفاح..و كانت لونكا التي تمشي كالنائمة تحاول استيعاب هول جمال ما رأت... عندما وضعت قدمها في المدخل..تسمرّت في مكانها من المفاجأة...فقد كانت في حضرة قاعة ضخمة جدرانها لؤلؤية اللون و سقفها ازرق فاتح كلون السماء بعد هطل المطر..نظرت الى الارضية المفروشة ببساط اشبه ببساط علاء الدين السحري من سحره الأخّاذ كأنه سيطير بك الى اعلى و اعلى ..

.
حدثت محارة لونكا ملوّحةً بحقيبتها أمام وجهها كي تستفيق: هي لونكا..عودي..انظري إليّ..
فهزّت لونكا رأسها بخفة و همست : هذا اكثر من مذهل..هذا هذا رائع..خلّاب..فاتن..
ضحكت محارة و أشارت الى لونكا لتتبعها عبر سلم لولبيٍّ ذهبيّ اللون يقود لمكان بالتاكيد اكثر ابهارا- فكرت لونكا.-...
صعدتا الدرج بهدوء كما لو أن أحدهم كان نائماً في غرفة مجاورة ويجب عدم إيقاظه...
وصلتا إلى الطابق الثاني المليء بالأبواب في كلٍّ منها يسطع ضوءٌ من فتحة القفل..ضوء مختلف..باللون و الشكل و الوميض..
سألت لونكا التي كانت قد استعادت رشدها: ماذا يوجد خلف كلّ من هذه الأبواب أريد أن أعرف بشدة..
لم تنطق محارة بكلمة بل فتحت لها الباب الذي كان يقابل وجهها و قالت لها ادخلي و انظري...
دخلت لونكا الى الغرفة المقصودة و رأت الكثير من الأشياء الفاتنة حقا..مكتب من الخشب الماهوغني الغامق..رفوف من الزجاج الشفاف..تتوضع فوقها ريشٌ للرسم من أفخم الأنواع..و أسطواناتٌ موسيقية -إن شُغّلت سينفجر المكان من كثر جماله و ما تضفيه الموسيقا عليه- فكرت لونكا...و على الجهة الاخرى توّضعَ بيانو ذي هيبة و وقار بلونه الأسود المفحم و مفاتيحه الساطعة كالنور في الظلمة تناجي من يسامرها...و الإضاءة انبعثت من السقف على شكل نجومٍ فضيّةٍ جميلةٍ جداااً حسب ما وصفتها لونكا..
بعدما دُهشت لونكا بمعظم الغرف و كانت تخرج بكل منها بالكثير من العبارات المدهشة.

..أمالت رأسها لترى ضوءاً ينبعث من غرفةٍ في آخر الممر الضوء كان مختلفا عن جميع سابقيه ضوءٌ يومض بسرعة عالية بلونٍ غير محدد.
كأنّ ألوان قوس قزح كلّها في الداخل..
بينما محارة تفتح باب غرفةٍ اخرى سألتها لونكا : ما هذه الغرفة لماذا تبدو مميزة؟
أجابتها محارة: تلك حقا غرفة مميزة ..لذلك لها طريقة مميزة ايضا في استقبال الضيوف فهي مقفلة و لا يمكن الدخول إليها من الباب العادي
برمت لونكا شفتها باستفهام شديد

.

و دخلتا الغرفة التي فتحتها محارة لتوها
وقد كانت مكتبة...اضخم مكتبة..اروع مكتبة..أكثرها جمالاً في العالم..

وقتها توسعت حدقتا لونكا اكثر ما بامكان عينيها أن تفعلا..و دارت عدة مرات لتتأكد أنها ترى هذا حقاً..ثم سألت : محارة..ألا يمكنني العيش هنا..إنها من أجمل الأشياء في العالم..
أجابتها محارة : لا اظنك تستطيعين لكنك يمكنك زيارتها وقتما شئتي..
ابتسمت لونكا و عبرت عن سعادتها بعناق كبير أعطته لمحارة اللطيفة
فقد كان تفاجؤ لونكا عادياً فإن فكرّ القارئ النهم -مثل لونكا-في أكثر مكان يودُ الذهاب إليه سيكون المكتبة..وما هذه من مكتبة؟!!..الكثير من العواميد الطويلة تحمل كل منها عشرات الارفف..و كل رف يحمل اكثر من مئة روح..أكثر من مئة شخصية..أكثر من مئة كتاب و رواية..مكتبة مقسمة إلى الروايات بأنواعها و ألوانها و الكتب العلمية و الطبية و التنمية البشرية و تعلم اللغات و القواميس و المعجمات اللغوية الاصلية و المجلدات المكدسة تفوح منها رائحة الخيال و للذكريات..

.

بعد برهة قصيرة في المكتبة خرجتا منها لونكا و محارة بسعادة غامرة كل منهما فأن تكون قارئا ماذا تريد اكثر مما رأيتا هما الاثنتين ؟

.

هذه المرة تابعتا الصعود على السلم اللولبي حتى السطح..نعم السطح..فقد اقفلت أزهار التفاح البوابة و لم تدخلا بعد إلى الغرفة المميزة..فقد كان مدخلها غريباً ..من المدخنة الخضراء..تلك التي يخرج منها غبار جنيات..لا دخان اسود..

سألت لونكا مستفهمة : كيف سأدخل الى هنا؟ ..هذا غريب حقا..

قالت محارة و هي تضع قدمها في المدخنة : الموضوع سهل..فقط انزلقي..تزحلقي..دعي نفسك للجنيات هنّ سيدخلنّك..

و انزلقت محارة في المدخنة..

لكن لونكا لم تكن بهذا الصبر كي تنزلق ..فقد قفزت في المدخنة و لولا الجنيات و غبارهن..لربما كانت ستتأذى بشدة..

عندما وصلت لونكا الى الغرفة ..كانت قد هبطت بالمقلوب نتيجة قفزتها السريعة..ريثما أعادت توازنها و نفضت شعرها..كانت مخيلتها تعمل..كي ترى الغرفة الغير عادية..فلا احد يستطيع رؤية ما بداخلها الا بمخيلته الشخصية..

ساعدتها محارة بالنهوض و قالت لها :ماذا ترين؟

اجابت لونكا التي كعادتها من الاندهاش صوتها بدأ يتلاشى:

أرى...أرى آن..و شيرلوك هولمز*..و أليس*..و غيمة..و اليزابيث*..و الكثيرون.. كيف هم هنا لماذا اراهم ؟ مالذي يحدث ؟..-للتنويه هذه شخصيات روائية علقت في خيال لونكا-

قالت محارة : هذه شخصيات مخيلتك..يتجسدون هنا لك وحدك..فأنا لا أرى نفس ما ترينه بالتأكيد..هذه غرفة الخيال..هذا ما اسمتها آن منذ زمن..اسأليها إن أردتي ستجاوبك..

تفاجأت لونكا كثيرا مما سمعته و نظرت الى محارة التي تقف إلى جانبها بِبُعد بضعة سنتيمترات وترى شيئاً مختلفاً تماماً

.

و قالت بعد برهةٍ من الصمت: سأسألها بالتأكيد..لكن أنت ماذا ترين ؟
ابتسمت محارة ابتسامة خفيفة جداً و أجابت: أرى العديد من الشخصيات الروائية مثلك تماما لكنني أرى أشياء و أشخاص من مخيلتي
آخرين..ليسوا مكتوبين على الأوراق بالحبر..بل محفورون على قلبي بشيءٍ أقوى مفعولاً من الحبر...
شدت لونكا حاجبيها قليلا الى بعضهما و قالت : كيف ؟ الم تقولي اننا نرى مخيلة..كيف ليسوا على الورق..هل هل هل كانوا حقيقين ؟ ادركت لونكا كلام محارة التي شرعت تتحدث بهدوء: نعم حقيقيون..اختي و ابناؤها..و ابتسمت كأنها تتحدث في حضورهم..لقد حُفروا في قلبي بالسكر الحلو المذاق..وخرجوا من حفرهم تاركين آثاراً تجرح
كثيرا..تركوا نثراتاً لازالت تجرحني...و انهمرت عدة دمعات من عينيّ محارة.. التي حاولت مسحها بمنديلها الابيض اللماع..بينما لونكا التي بدا الحزن على محياها احاطت محارة بيديها الحنونتين و اعطتها قبلة لطيفة على اعلى رأسها...
ثم همست لمحارة : أنا اسفة..لقد حزنت حقا...هل استطيع المساعدة بشيء ما؟
اجابتها محارة التي بدأت تلملم شتات نفسها: شكرا على تعاطفك يا فتاة انت لطيفة حقا..لا اظنك تستطيعين المساعدة بشيء ما..لكنني اشكرك من اعماق قلبي..

.

جلست محارة هكذا تنظر في الفراغ بالنسبة ل لونكا -التي تحدثت إلى آن لبعض الوقت-..لمدة ١٠ دقائق أو أكثر بقليل..ثم نفضت حقيبتها و رأسها

و قالت بحيوية بسيطة: هيا بنا نخرج فإنني اريد ان اريك شيئاً و مكاناً آخرين..ألا تريدين ؟
أجابت لونكا: نعم أريد هذا مؤكد ..لكن..هل انت متاكدة انك تريدين أن نتحرك؟..إن كنت تريدين يمكننا البقاء قليلا بعد..
قالت محارة وقد وقفت على قدميها : لا حقاً انا اريد ان نذهب هيا بنا..شكرا مرةً اخرى يا عزيزتي..
لا مشكلة تمتمت لونكا و غمازتها قد بدت مرة اخرى ايضاً. ..

جسرٌ سحريٌّ و قلبٌ أبيض

خرجتا من الغرفة كما دخلتا..تحملهما الجنيات و تنثر فوقهما غبارها..
عندما عادتا الى السطح سألت لونكا: و الآن كيف سوف نذهب..؟..
قالت محارة: سننزلق مرة اخرى..لكن من هنا..و اشارت الى زحلوقة طويلة تمتد من درجات السطح حتى البستان المجاورللقصر..
قالت لونكا: دوري هنا..انا سأذهب اولا..و اسندت جسمها على الزحلوقة...و بدأت تنزلق بسرعة فائقة حتى بعد لحظات صرخت:
محاارةة ان هذا كان مدهشاً ألستِ قادمةً ؟
فصرخت محارة بالمقابل: نعم أنا قادمة انتظري عندك...و انزلقت هي بدورها حتى رأت نفسها بجانب لونكا..

وقالت بصوت عالي كي تجذب انتباهها لأن لونكا اخذت تلاحق فراشة بيضاء رفرافة الجناحين..: هيا فلننطلق الى محطتنا التالية.. ألا وهي..جسر الفستق...
بدت إمارات الاستغراب على وجه لونكا وقالت : جسر الفستق ؟ لم تخبرني عنه آن..ما هو ؟..ولماذا اسمه جسر الفستق ؟..
أجابت محارة : أولاً جسر الفستق بنيَ منذ فترة قصيرة..لذلك آن لم تره..ثانياً اسمه جسر الفستق لأن حوله تعيش مجمعات من الطيور فستقية اللون..تصدر أصواتاً شبيهة بالصوت الذي يصدر عند قرط الفستق..هكذا فقط..
هذا لطيف حقاً..أريد رؤية تلك العصافير و سماعهم..اه كم سيكون ممتعاً..قالت لونكا و هي تدور كأنها تنشر عبق الربيع في الهواء..
و سارتا معاً بين النباتات الملتفة و الأزهار المتمايلة في طرقٍ مختلفة الألوان و الأشكال لكنها متشابهة التعرج...
عندما بدأت لونكا تسمع أصوات الطيور المزقزقة قفزت و سألت محارة : لقد اقتربنا أليس كذلك ؟ هذا صوتهم؟ كم هو جميل!
أجابتها محارة: نعم بقي القليل جداً و سنصل..ستسمعينهم و ترينهم عن قرب..
بعد مدة قصيرة لا تتجاوز الخمس دقائق مالت محارة نحو شجيرة صغيرة خضراء و أبعدت أوراقها عن بعضهم فحدث شق صغير كالبويب إن صح القول..ثم قالت للونكا : ها قد وصلنا اعبري من هنا..
دون أن تنبس ببنت شفة كوّرت لونكا نفسها و زحفت في هذا المعبر الصغير..و تبعتها محارة التي لم تحتج إلا لميلان بسيط سمح لها بالعبور..
.

بعد دخول المعبر كانت لونكا تنفض ثيابها لأنها أصبحت خضراء كلون العشب..و محارة تنظر إلى وجهها تتبع تعابيرها لأنها على وشك أن ترى...
ما أجمل ما ترى عيناي! صرخت لونكا مقاطعةً سلسلة أفكار محارة التي ضحكت و تنفست الصعداء مرتاحة لأن لونكا لم تتسمر في مكانها من جديد..كما فعلت من قبل..
بدأت لونكا تمشي خطىً واسعة تلحق بعينيها كل ما تستطيع رؤيته على مد البصر...فما كان أمامها.. مشهدٌ نزل من قصة خيالية..شيءٌ غير عادي أبداً...
أشجار الليمون المحملة بالثمار و الأوراق الخضراء المنعشة..النباتات التي كأنها طفلة خرجت من المهد حديثاً تحفّ أطراف نهرٍ مياهه صافية رقراقة كالبلور المتهادي تعكس صورة الأشجار وهي تبدو كأنها ترقص فرحة مثل الفتيات..
هذا عدا صوت تغريد العصافير الفستقية كأنها مراسيل سلام و محبة تنشر ما تملكه في الجو..بغية إدخال النشوة إلى قلوب المارين
بعد برهة أكملت لونكا : لعلّي جننت...إن ما أراه و أسمعه و أشعر به رائع..لطيف..مذهل..
بينما ابتسامة ارتسمت على وجه محارة قالت: هذا المكان خلاب حقاً أحبه كثيراً... هل ترين ذلك الجسر الذي قلت لك عنه...هذا الجسر منذ بني و هو الشيء الوحيد الذي نستدل به إلى الفصول..ففي فصل الصيف خشبه يبهت ويصبح كالغصن المتساقط من شجرة..و في الخريف يعود بريقه المعتاد و يصدر أصوات رفرفة أجنحة الفراشات عندما تعبرين من فوقه..في الشتاء يمسي كالحديقة..تمتلئ فراغاته بالورود..أما الربيع...فيرسم على محياه هالة من اللون الأبيض..
تفاجأت لونكا مما سمعت و قالت: هذا عجيب !..كيف بنوه هكذا ؟

فقالت محارة: هذا سر ...يقولون أن الفلاح الذي وجد الشجرة المصنوع منها الجسر قد أصبح ملكاً..حاولوا معرفة نوع الشجرة لكن لم يمر على المزارعين هنا أي شجرة مثل تلك السحرية...
ابتسمت لونكا و قالت: احببت قصة هذا الجسر...أخيرا سيكون لدي ما أقوله من جديد لآن.. سأخبرها كيف الورود تنبت من فراغاته هذه الأيام ستحبه بالتأكيد..
نعم ستفعل همست محارة
بعدما مشتا فوق الجسر السحري خرجتا من معبر يشبه الذي دخلا منه..
و راحت لونكا تتمايل في مشيها مهدهدة على كتف الطبيعة لتهدأ و كأنها طفل رضيع..
عندما لاحظت محارة شرود لونكا قالت بصوت عالٍ مرة أخرى:
هيا..سنسلك هذا المنعطف..فبيتي من هذا الطريق...وأشارت نحو اليسار..
ادارت لونكا وجهها بانتباه شديد و قالت: ماذا ؟ بيتك؟ هل سنذهب الى هناك...هذا اكثر من رائع لقد اخبرتني ان الكثير عن ذلك المكان تحديداً...
نعم إلى هناك هيا تحركي..أجابت محارة التي ارتسمت على خديها ابتسامة مضحكة..

.

على الطريق الى البيت كانت اشجار البرقوق تتمايل متراقصة على انغام الرياح..ساحرةً كل مشاهديها..و ابرزهم لونكا التي كانت في اسعد حالاتها تتخيل و ترسم بريشة الغيمة ألوان السلام..
و محارة المتراقصة بمشيتها كانت تأخذ نظرات بين كل فينة لتتاكد من وجود تلك الفتاة الى جانبها تسير بخفة..
بينما تمشيان و قد بقي القليل من المسافة للوصول الى المبتغى توقفت لونكا و قالت مخاطبة محارة : محارة..هل تعلمين..لا أظنّك يجب ان

تحزني من اجل أختك كلّ هذا الحزن..بالطبع احزني..و اشتاقي لها ..لكن..اضحكي عندما تتذكرين تلك الجروح من السكر..لانني اظنها ستكون جميلة..الا تفعلين..{جروح من السكر}..رائع اليس كذلك ؟
اه صحيح كنت اقول شيئاً آخر آسفة..بعدما كانت قد صمتت لوقت قصير و محارة تراقبها..
دعيني أتابع..قالت لونكا..احزني..لكن قليلاً..فهي ستكون حزينة ان تذكرتيها بالحزن و الدموع و الآلام..تذكريها بالابتسامات و الذكريات المضحكة و الجميلة...تذكريها بالريحان و اللؤلؤ..ستكون اسعد صدقيني..هذا ما اخبرني إياه جدي عندما سألته لماذا لا يبكي عندما يتذكر جدتي التي قد ذهبت منذ زمن طويل..كان يبتسم و يقول: هكذا هي أسعد..و انا أسعد..و حتى أنت أسعد يا صغيرتي..
قالت لونكا هذه الجملة مقلدةً صوت جدها.. مما رسم ضحكةً على وجه محارة..فطبطبت على يد لونكا و قال لها: لونكا..اظنك من الطف الناس الذين رأيتهم في حياتي..قلبك كبيرٌ ككبر سماء الدنيا..و ابيض كبياض غيومها..شكراً لك..إن هذا من لطفك الشديد..
فابتسمت لونكا و بدأت تمشي من جديد..و تبعتها محارة هذه المرة..

بيتٌ خلّابٌ ولكن..

وصلتا امام بيت محارة الصغير..المدهون بألوان الربيع..الازرق و الوردي و الليلكي..و المتربع على هضبة من ورود الجوري الحمراء كلون القرميد الذي يغطي السطح...و مدخنةٌ بيضاء مزيّنة بإكليل من الأعشاب الخضراء المتدلية تنفح غباراً ملوناً ذي رائحةٍ جميلةٍ..
نثرت لونكا سحباً من السعادة وهي تدور حول البيت تحاول اكتشاف اشياء جديدة حوله..دارت مرتين او ثلاثاً...ثم وقفت مجددا بجانب محارة التي راحت تبحث في حقيبتها على المفتاح..و قالت لها و خديها يحمرّان:
محارة..بيتك خلاب بشدة..و الازهار التي تحيط به مذهلة..لكن..
لكن ماذا ؟ سألت محارة على الفور
لكنني اشتمُ رائحة فطائر التوت تخرج من تلك النافذة..و أشارت اليها باصبعها..هل استطيع ان آكل البعض منه ؟سالت بخجل

ضحكت محارة و قالت بعدما فتحت الباب : بالتاكيد ويا له من سؤال تفضلي الى الداخل...

.

دخلت لونكا الى الممر الضّيق الخشبي المنخفض السقف..و مشيت بهدوء تتابع كل تفصيل من تفاصيله..ثم وجدت نفسها واقفة امام غرفة صغيرة..قبل ان تدخل نظرت الى محارة لتتأكد إن كان بإمكانها الدخول إلى هذا المكان..فأشارت لها محارة بالإيجاب..أدخلت لونكا رأسها أولاً متفحصةً ما حولها من أثاث لطيف يوحي بالراحة..جلست على إحدى الكنبات المغطاة بشرشف ازرق ناعم يعطي احساساً بالدفء..

و راحت تشوح بنظرها من زاوية لأُخرى حتى دخلت محارة من الباب و بيدها فطيرة توت رائحتها من أزكى ما يكون..و منظرها من احلى ما يمكن أن يُرى..فحركت لسانها في فمها دلالة على التّلذذ المسبق و الجوع ايضاً..

فقالت لها محارة : تفضلي و كلي ما تريدين يا عزيزتي..و اعطني رأيك فيما بعد..

امسكت لونكا بقطعة بيدها و اخذت منها قضمة..مذاقها..أقلّ ما يقال بحقه..أنّه لذيذ..بل هو سحري..خيالي..ممزوج بسكر الجنيات و دقيق الفراشات..تنهدت لونكا من شهية ولذّة ما ذاقت..بلعت لقمتها و قالت بسرعة: هذه الفطيرة سحرية..إنها شهية جدا..لقد احببتها..أنت بارعةٌ جداً يا محارة..شكراً لك..

قالت لها محارة بصوت دافىء سعيد: اهلاً و سهلاً بك..اكملي..كلي ما تشاءين..

.

عندما انتهت لونكا من تناول فطيرتها غسلت يديها بماء النبع..*_أليس هذا خلابا؟!_*ثم جلست هي و محارة في غرفة قد وجدت فيها لونكا

الكثير من الفساتين التي تشبه ما كانت ترتديه آن دائما..كانت فساتين منها بطول معقول و منها طويلة تلامس الارض..منها صيفيةو منها الشتوية..ومنها بالأكمام المنتفخة و واحد او اثنين بلا أكمامٍ منتفخة..
فسألت لونكا : ما هذا ؟ هل هذه فساتين آن ؟ إنها تشبهها جداً..كلها جميلة..و الفرحة تغمر قلبها الكبير..
أجابت محارة: نوعاً ما هي تعود لآن... فقد تركتها هنا لأجلك و من مثلك من أصدقاء آن..كي ترتدوها..لأنها احببت هذه الفساتين..و أرادت ان تسعدكم بها..
ضحكت لونكا ضحكة غير مصدقة ما حصل..آن تركت لها هدية ؟هذا أكثر من مذهلل..
هل يمكنني تجربة أحدها ؟ سألت لونكا
قالت محارة: نعم..جربي ما تريدين و خذي أحدها معك ايضا..
فقالت لونكا: اووه شكرا محارة...شكراً آن.. قالت الأخرى وقد اغمضت عينيها..اممم سأجرب..هذا الرمادي..يبدو مدهشا بأكمام منتفخة و تنورة طويلة جدا و كشاكش مزدانة بالأزهار..
حسناً جربيه قالت محارة و هي تبتسم..
خرجت لونكا بعد مدة من الغرفة مرتدية الفستان الجميل الحريري الملمس..و دارت دورتان امام محارة لتريها إياه..
هزت محارة رأسها بالإيجاب و قالت: إنه يبدو مدهشا عليك كأنه قد ترك من أجلك أنت خصيصاً...
اووه شكرا لك..هل استطيع ان ابقى مرتديةً إيّاه ؟
نعم بالتأكيد افعلي ما تشاءين...قالت محارة

وداعٌ دافىء

خرجتا بعد قليل الى حديقة البيت الصغيرة و جلستا تحت شجرة تفاح تظللهما و تحميهما..بادرت محارة بالكلام: شكراً لك لونكا على ما فعلتيه اليوم من موقف..لقد اسعدتيني جدا...لا أهرف ماذا أفعل لأرّد لك الجميل..و ضغطت يد لونكا

فقالت لها الاخرى: لم افعل شيئا بل أنت من ساعدتيني و أخذتيني في رحلة لم اكن لاحلم بها في اي مكان آخر..انت من افضل المحارات في العالم محارة الالوان..

ابتسمت محارة للمرة المليون يمكن لهذا اليوم: لقد جئتِ مفاجأة لم أكن اتوقع قدومك..فقد استقلت من عملي في صالة الاحلام منذ زمن طويل حقاً..لكنك اخترتيني و أنا ممتنةٌ لذلك..

لا مشكلة محارة..هل تعلمين لقد كنت أجاهد كي اخرج من تلك الصالة كي اجيء لعندك..لكنني علقت فعدت قليلا الى الواقع..و قد كنت جالسة في المدرسة لوحدي اتمنى ان أستطيع الوصول اليك... ثم شردت قليلا فوجدتك جالسة بجانبي تنظرين الي.. والآن انا هنا و سعيدةٌ بشكلٍ لا يوصف...استرسلت لونكا في حديثها هذا...

فقالت محارة: هذا لطيف منك ومن آن حتى..لأنها حدثتك عني..

اووه لقد فعلت قالت لونكا..تحبك كثيراً..و تشتاق إليك أيضاً...

حسنا..شكراً لك ولها على كل شيء..اخبريها حبي عندما تعودين..

سأفعل..وعدت لونكا..لكن هل علي ان اعود الان ؟ ألا استطيع ان ابقى قليلاً بعد ؟
أجابت محارة: لا اظنك تستطيعين..يجب ان تعودي قبل ان يظنوك نائمة و ستكونين في مشكلة حينها..
اوه صحيح..علي الذهاب اذا..قالت لونكا وقد بدت حزينةً قليلاً..
نعم عليك ذلك..لكن عودي مرة اخرى..ساكون دائما متواجدة لنذهب في رحلاتٍ سوية..قالت محارة
حسنا..لكن كيف سأعود؟..هل أعلق نفسي بالباب مرة اخرى؟..و ابتسمت لونكا
فضحكت محارة و قالت: لا تفعلي ذلك مرة اخرى..يمكن أن تتعرضي للأذى..فقط قولي لمن هناك أن ينادوني..سأخرجك و نتنزه..مارأيك؟
بالتأكيد هذا مدهش..سأفعل المرة القادمة..قالت لونكا..
ثم وقفت على قدميها و نفضت الغبار عن فستانها الجميل..و حملت بيد حقيبة بداخلها ثيابها التي كانت قد أتت بها الى هنا..ثم أعطت محارة حضناً آخر مليئاً بالمحبة..و الذكريات..و عبق الخيال..
ثم ودعتها عند السرداب بعدما مشتا مع بعضهما إلى بدايته..
أدارت ظهرها لمحارة و ركضت..و قبل ان تدخل غواصتها الصغيرة..التفتت مرة اخرى و صرخت: شكراً على الفطائر..شكرا على كل شيء..أحبك محارة..
فاحابتها محارة و كادت الدموع تنهمر من عينيها: العفو..وانا احبك يا عزيزتي الفتاة الطويلة..
و لوحت بحقيبتها مودعة. ثم عادت أدراجها..تتذكر لونكا بالريحان و اللؤلؤ و الضحكات

السلام يرسل عبر الأحرف
أنثره بيديَّ كي يسافر مسافاتٍ ترتعد أوصالها من اللقاء
نورا

محارة الألوان
تعيش حياة عادية في قاع السرمد تستيقظ و
تذهب إلى عملها بشكلٍ دوري و طبيعيّ
حتى يوم من الأيام و هي في الطريق..يحدث شيءٌ
غير متوقع...
مغامرات معدودة تحدث..تأسر محارة..و
تجعلها تتذكر أيام قديمة

أتمنى أن تنال إعجابكم